



تاريخ وشخصيات

ورحل الحاج عبد المنعم قابيل.. المجاهد المجهول



الخميس 21 مايو 2020 م 01:13

منذ أيام قليلة وفيما تنزل بركات رمضان ورحمات العشر الأواخر من رمضان رحل عن دنيانا الحاج عبد المنعم قابيل عن عمر ناهز 83 عاماً، بعد رحلة من التضحية في سبيل الله والرضا بقضاء الله في المحن.

البداية

في حي روض الفرج بمدينة القاهرة ولد عبد المنعم عبد الحليم حسن قابيل في 3 يناير 1937م في بيت متواضع يسكنه عدد من الأسر، وفي منطقة فقيرة من الحي، كان والده يعمل كعامل بالسكة الحديد وينتمي إلى الجمعية الشرعية التي كان يرأسها في ذلك الوقت مؤسسها الشيخ محمود خطاب السبكي-رحمه الله.

التحق بمراحل التعليم حتى حصل على الشهادة الابتدائية عام 1951 من مدرسة مكارم الأخلاق الإسلامية بروض الفرج، ثم حصل على التوجيهية فقسم علمي عام 1956، من مدرسة روض الفرج الثانوية بمجموع 73 %، ورغم أن مجموعه كان يؤهله لدخول كلية الطب التي كان يتمنى اللالتحاق بها، حيث كانت تأخذ حينها من 71% فإنه لم يدخلها بسبب الفقر وعدم قدرته ووالده على مصاريف الكلية، فاضطر لدخول كلية العلوم التي كانت رسومها 6 جنيهات ونصف الجنيه، في حين أن كلية الطب كانت مصاريفها 21.5 جنيه، ورغم ذلك لم يستمر في كلية العلوم سوى 4 أشهر فقط؛ حيث كان مرتب والده لا يتعدى الـ 6 جنيهات، وحولت كلية التجارة التي كانت رسومها 85 قرشاً فقط بعد أن اضطر للعمل عاملًا في المصانع الحرية عن طريق الصاغ ولIAM إبراهيم نجل ناظر المحطة التي كان يعمل فيها والده.

بعد حصوله على بكالوريوس التجارة والعمل محاسباً بإحدى شركات المقاولات بروض الفرج قرر الانتساب إلى الحقوق، لكن الاعتقال حال بينه وبين استكمال الدراسة بكلية الحقوق الذي قضى فيها عامين.

وسط الإخوان

انضم إلى دعوة الإخوان المسلمين عام 1950م واعتقل عام 1954م لمدة يوم ونجاه من بقية الاعتقال وجود أحد زملائه في زنزانة قسم روض الفرج وكان يدعى عاطف وهو ابن أخت أحد الرتب العالية فأخرجهم جميعاً من السجن.

غير أن الأمر لم يطأ حيث اعتقل مرة ثانية يوم 5 / 10 / 1965 بعد الساعة الواحدة ليلًا، وظل في السجن حتى نوفمبر عام 1971م، على الرغم أن المحكمة كانت قد حكمت عليه بالسجن لمدة 3 سنوات غير أنه حول للمعتقل بعد انتهاء فترة الحكم، حيث نقل لأكثر من السجن استمتع فيها بصحبة كثير من الرعيل الأول للإخوان، وبعد خروجه حصل على عقد في السعودية وقضى بها ما يقرب من 17 عام من عام 1982م حتى عام 1999م.

تعرف على زوجته وتم الزواج في يوليو 1965م ورزقهما الله بجيحان (جهاد) عام 1965م ثم سمية عام 1972م - بعد الخروج من السجن - ثم راوية 1973م ثم رباب عام 1975م ثم أحمد 1976م ثم رحاب عام 1978م.

محنة 1965

تعرض الإخوان لمحنة شديدة في هذا العام وتعذيب رهيب، وكان الحاج عبد المنعم قابيل واحد منهم ويحكى عن اعتقاله فيقول: كان الاعتقال الثاني يوم الثلاثاء 5 أكتوبر 1965م، وكانت في ذلك الوقت لم يمر على زواجه سوى بضعة أسابيع، وكانت قد تركت العمل في المصانع الحرية، وعملت محاسباً في إحدى

شركات المقاولات بروض الفرج، على الرغم من أن المرتب الذي كنت أتقاضاه من المصانع الحرية كان ضعف ما كنت أتقاضاه من العمل كمحاسب، ولكنني فضلت أن أعمل بمأهلي، وفي هذه الليلة فوجئنا في وقت متاخر من الليل بقوات أمنية مكثفة ومسلحة تطرق الباب، ولم يتظروا لكي نفتح لهم بل قاموا بكسره وسألوا والدتي أين غرفة نوم عبد المنعم؟ فقالت لهم هذه فاقتحموا الغرفة بكل همجية..!!

وعندما سألهما عن سبب ذلك لطمني الضابط بكلمة قوية في وجهي، فاللهم الصمت، وقللوا الغرفة رأساً على عقب؛ لدرجة أن أحدهم فتح باب الدولاب فسقطت المرأة المعلقة على أحد "ضلـف" الدولاب طبعاً كنت لسه عريس في ذلك الوقت والفرش كان جديداً فصعب عليه أن يترك "الضلـفة" الثانية بمرآتها فقام بكسرها هي الأخرى، وأثناء تفتيشهم للغرفة داس الضابط على المصحف فصرخت زوجتي وقالت: حرام عليك المصحف، فلطمها بيده على وجهها الدم منها، فقلت لزوجتي وأنا في أشد الحزن والأسى والغrief أيضاً: "تساهلي.. أنت مش عارفة إن المصحف له رب يحميه". فقال الضابط لي بعد أن فاجأني بلطمة أخرى أقوى من سابقتها: "ما إدنا عارفين يا بن ؟؟ إن المصحف له رب يحميه"، وبعد ذلك قاموا بتفتيش جميع غرف الشقة، كما لم يسلم الحمام والمطبخ من التفتيش؛ لدرجة أن أحدهم وجـد "حـلة" ملوخـية على البوتاجاز فقلـلـها فيـ الـحـوضـ ظـنـاًـ مـنـهـ أـنـهـ يـوـجـدـ بـهـ قـبـلـةـ لاـ سـمـ اللهـ !!

وأثناء تفتيشهم للشقة ظلت أمي تتسلل للخاطب وتقول له بحسن نية وطيبة مفرطة: "يا بيه ده عبد المنعم طيب وغلبان.. ده حتى من الإخوان المسلمين، وكل أسبوع بيجي يزوروه فلان وفلان وأنا بأعلمهم أكل ويتعقدوا يتكلـلـوا فيـ الدـينـ".

وأنا أصرخ وأقول: "كفاية يا أمي.. كفاية.. حرام عليك اسكنـيـ، والخـاطـبـ أصـرـ أنـ يـعـرـفـ منـ والـدـيـ أـسـمـاءـ منـ كـانـواـ يـتـرـددـونـ عـلـىـ". فقالت والدتي بحسن نية له بعض الأسماء التي تذكرـناـ فيـ هـذـهـ اللـحـظـةـ، ثمـ قالـ الخـاطـبـ ليـ: "علـشـانـ والـدـلـكـ الطـبـيـةـ دـيـ اـرـجـعـ البـسـ حـاجـةـ ثـقـيـلـةـ عـلـشـانـ اـحـتمـالـ تـقـعـدـ عـنـدـنـاـ شـوـيـهـ"، فـرجـعـتـ بالـفـعـلـ وـلـبـسـتـ بـلـوـفـ وـجـاكـيـتـ وأـكـثـرـ مـنـ بـنـطـلـونـ، ثـمـ أـخـذـوـنـيـ وـسـطـ بـكـاءـ شـدـيدـ مـنـ والـدـيـ وـزـوـجـيـ العـرـوـسـ».

مواقف حية

بعد اعتقاله ترك زوجته بصحبة والده ووالدته لتقوم على خدمتهم ولترعى ابنتها جيهان والتي طلب الشهيد سيد قطب تغير اسمها لجهاد فتم ذلك وهو ما عرضها للسؤال والضغط من ضابط القسم الذي استدعاهما للسؤال عن سبب تغيير الاسم بذلك، وقد تعرضت لمضيقـاتـ كـثـيرـةـ منـ قـبـلـ العـسـكـرـ فـكانـتـ تـرـدـ عـلـيـهـمـ بـقـولـهـاـ: «لـوـ شـاطـرـيـنـ اـعـقـلـوـنـاـ مـعـهـمـ فـهـمـ أـشـرـفـ النـاسـ وـأـعـظـمـ النـاسـ».

وفي إحدى الزيارات استطاع الإخوان أخذ ابنتها جهاد منها دون علم العسكري وإدخالها للسجن لوالدها وأخذوها إلى فضيلة المرشد الأستاذ حسن الهضيبي في المستشفى، فقلـلـهاـ وـدـعـاـ لهاـ، وـكـذـلـكـ قـبـلـهاـ وـحـيـاـهاـ وـدـعـاـ لهاـ أـسـاتـذـتـاـ الكـبـارـ الـفـضـلـاءـ أـمـثالـ: أـحـمـدـ شـرـيـتـ وـعـمـ الـلـمـسـانـيـ وـمـصـطـفـيـ مشهورـ.

وفي فترة في السجن مرض الأستاذ عبد المنعم واتضح أن الزائدة الدودية ملتهبة فقرر الأطباء إجراء عملية جراحية له، غير أنه أشيع أنه توفي بسبب أن الأطباء أخطأوا أثناء إجراء عملية الزائدة الدودية حتى ظنوا انه مات، وعندما علمت زوجته بذلك فما جزعت ولا قنطت واحتسبته عند الله شهيداً.

كانت زوجته نعم الزوجة والداعية في عام 1968م اتصلت بها الحاجة فاطمة عبيد (أم احمد) وكانت تعاونها في رعاية بيوت الإخوان المعتقلين، كما كان لها الدور الأساسي في تهريب مسودات كتاب عندما غابت الشمس.

وعن قصة كتابة «عندما غابت الشمس» وهو من الكتب الهامة التي تورجـ لـفـرـتـةـ هـامـةـ جـداـ وهـيـ فـتـرـةـ عـبـدـالـناـصـرـ وـمـاـ قـامـ بـهـ نـدوـ الإـنـسـانـيـةـ مـنـ تعـذـيبـ وـيـعـودـ الفـضـلـ فـيـ إـنـقـاذـ هـذـهـ الـكـتـابـ مـنـ السـجـنـ الـحـرـيـ وـإـخـراـجـهـ لـلـنـورـ يـعـودـ لـلـأـسـتـاذـ عـبدـ الـمـجـاهـدـ زـوـجـهـ أـمـ جـهـادـ يـقـولـ الأـسـتـاذـ عـبدـ الـحـلـيمـ خـفـاجـيـ: «الـفـضـلـ لـلـهـ الـعـالـيـ وـحـدـهـ، ثـمـ لـاثـنـيـنـ مـنـ الـأـخـواتـ فـيـ إـخـرـاجـ هـذـهـ الـمـذـكـرـاتـ، مـنـ الـظـلـمـاتـ إـلـىـ النـورـ، فـيـ وـقـتـ كـانـ يـجـبـ فـيـهـ عـنـ التـضـحـيـةـ أـشـجـعـ الرـجـالـ الـأـلـوـيـ هـيـ الـأـخـتـ أـمـ جـهـادـ زـوـجـهـ أـخـدـ الـأـخـوـةـ الـمـعـتـقـلـيـنـ، وـالـأـخـيـرـ هـيـ الـأـخـتـ نـفـيـسـةـ زـوـجـهـ الشـهـيدـ أـحـمـدـ نـصـيرـ. الـأـلـوـيـ غـارـمـتـ بـتـهـرـيـبـهـ إـلـىـ خـارـجـ الـمـعـتـقـلـ، رـغـمـ أـنـهـ لـمـ يـكـنـ قـدـ مـضـيـ عـلـىـ إـسـتـشـاهـدـ زـوـجـهـ بـالـمـعـتـقـلـ عـدـدـ أـشـهـرـ، وـكـانـ يـتـبـعـهـ لـذـلـكـ فـمـاـ جـزـعـتـ وـلـاـ قـنـطـتـ وـاحـتـسـبـتـهـ عـنـدـ اللهـ شـهـيدـاـ. الفـكـرةـ فـيـ الصـدـورـ .. فـلـلـهـ الـفـضـلـ وـالـمـنـةـ إـنـ رـبـ لـطـيفـ لـمـ يـشـاءـ.

ويضيف قوله: ولكن محنتي الحقيقة كانت تبدأ فور فراجـيـ منـ كـتابـةـ كـلـ كـشـكـولـ، إـذـ كـيـفـ أـخـتـرـقـ بـهـ الـحـواـجزـ الـبـولـيـسـيـةـ، إـلـيـ خـارـجـ أـسـوارـ الـدـوـلـةـ الـبـولـيـسـيـةـ، قـبـلـ الشـرـوعـ فـيـ الـكـتـابـةـ مـنـ جـدـيـ .. لـمـ يـكـنـ أـمـامـيـ إـلـاـ اـنـتـظـارـ الـأـعـيـادـ الـإـسـلـامـيـةـ، وـالـمـنـاسـبـاتـ الـوـطـنـيـةـ، حـيثـ يـتـرـخـصـونـ فـيـ تـسـلـمـ الـأـطـعـمـةـ، فـيـ مـخـتـلـفـ الـأـوـعـيـةـ، بـشـرـطـ سـرـعـةـ إـعادـتـهاـ فـارـغـةـ دـاخـلـ عـلـبـاـ الـكـرـتـونـيـةـ ..

وبنفس السرعة أكون قد نجحت في إلصاق الكشكوكـلـ في قـاعـ الـكـرـتونـةـ، مـسـتـخـدـمـاـ «ـالـنـشـاـ»ـ وـ«ـالـأـورـاقـ»ـ بـحـيثـ يـدـوـيـ الـقـاعـ طـبـيعـيـاـ، بـمـسـاعـدـةـ مـنـ أـثـقـ بـهـمـ مـنـ الشـبـابـ مـنـ آلـ "ـالـبرـدـيـنـ"ـ وـكـمـ تـصـبـتـ عـرـقاـ كـلـماـ شـاهـدـتـ السـجـانـ وـهـوـ يـمـعـنـ فـيـ فـحـصـ عـلـيـةـ الـكـرـتونـ، إـلـيـ أـنـ يـمـرـ المشـهـدـ بـسـلـامـ فـأـخـرـ سـاجـدـاـ لـلـهـ.

وعندما ضاقت بـنـاـ السـبـلـ ذاتـ مـرـةـ، وـلـمـ نـجـدـ مـنـفـذـاـ عـنـ طـرـيقـ الـزـيـاراتـ تـصـنـعـ أـبـوـ جـهـادـ عـبـدـ الـمـنـعـمـ قـاـبـيلـ -ـ الـمـرـضـ؛ لـيـدـخـلـ الـمـسـتـشـفـيـ، حـيثـ زـارـتـهـ أـمـ جـهـادـ بـهـ، وـاسـتـطـاعـ أـنـ يـغـافـلـ السـجـانـ وـبـدـسـ لـهـ الـكـشـكـوكـلـ فـيـ صـدـرـهـ، وـلـمـ يـتـشـكـكـ أـحـدـ، إـلـاـ لـقـامـتـ إـحـدـىـ السـجـانـاتـ الـمـخـصـصـةـ لـهـذـاـ الـغـرـفـ بـتـفـيـشـهـاـ.

ثم يقول: ولم أنسـ فيـ غـمـرةـ ذـلـكـ كـلـهـ دورـ الـأـخـتـينـ الـمـجـاهـدـتـينـ، فـهـمـاـ صـاحـبـتـاـ الثـوابـ الـأـكـبـرـ -ـ إـنـ شـاءـ اللـهــ، وـابـتـسـمـتـ وـأـنـذـكـ ذـلـكـ الضـابـطـ الصـغـيرـ، الـذـيـ هـالـهـ أـنـ تـسـمـيـ الـأـخـتـ الـضـعـيفـةـ اـبـنـهـاـ جـهـادـ بـعـدـ أـنـ وـضـعـتـهـ عـقـبـ اـعـتـقـالـ زـوـجـهـ، وـأـجـرـيـ تـحـقـيقـاـ شـدـيدـاـ مـعـهـاـ فـيـ مـبـنيـ الـمـبـاحـثـ عـنـ دـوـافـعـ هـذـهـ التـسـمـيـةـ، وـهـدـدـهـ بـسـمـ الـمـصـبـرـ إـذـاـ لـمـ تـغـيـرـ هـذـاـ الـلـاسـمـ.. وـرـبـ اللـهـ عـلـيـ قـلـبـ هـذـهـ الـأـخـتـ الـوـحـيـدـةـ فـيـ دـوـلـةـ الـطـوـاغـيـتـ، وـلـمـ يـنـزـعـ عـيـانـهـاـ.. وـكـافـأـهـاـ اللـهـ عـلـيـ ذـلـكـ فـيـ الدـنـيـاـ بـرـوـيـةـ هـذـاـ الـجـهـادـ.. أـمـاـ الـقـيـامـةـ فـلـاـ تـعـلـمـ نـفـسـ مـاـ أـخـفـيـ لـهـاـ مـنـ قـرـةـ أـعـيـنـ جـزـءـ بـمـاـ كـانـواـ يـعـمـلـونـ".

وعندما خـرـجـ مـنـ السـجـنـ وـسـافـرـ مـعـ أـهـلـهـ هـنـاكـ لـمـ يـنـسـ دـعـوـتـهـ لـأـبـوـ جـهـادـ لـأـنـ زـوـجـهـ أـيـضاـ فـتـرـعـفـوـاـ عـلـىـ العـدـيدـ مـنـ إـخـوانـهـ هـنـاكـ وـعـمـلـوـاـ مـعـهـمـ فـيـ الدـعـوـةـ، كـمـ كـانـواـ قـبـلـةـ لـكـلـ مـنـ يـرـيدـ مـعـرـفـةـ تـارـيخـ حـقـبـةـ عـبـدـ الـنـاصـرـ وـمـاـ جـرـىـ فـيـهـاـ.

حينـماـ عـادـ إـلـىـ مـصـرـ وـاستـقـرـ بـهـاـ نـشـطـ وـسـطـ إـخـوانـ بـشـمـالـ الـقـاـهـرـةـ فـيـ الـعـمـلـ الدـعـوـيـ اـمـثـالـ الـحـاجـ يـوسـفـ قـتـهـ وـالـحـاجـ حـمـدـيـ إـبرـاهـيمـ وـغـيرـهـمـ، وـظـلـ مـوـاظـبـاـ عـلـىـ الـحـضـورـ لـمـكـتبـ الـدـرـشـادـ وـإـفـطـارـاتـ إـلـيـخـوانـ حتـىـ وـهـنـ عـظـمـهـ وـكـبـرـ سـنـهـ وـدـخـلـتـ الـجـمـاعـةـ فـيـ مـحـنـةـ عـاـمـ 2013ـ فـظـلـ عـلـىـ ثـبـاتـهـ بـحـولـ اللـهـ حتـىـ تـوـفـاهـ اللـهـ.. فـنـسـأـلـ اللـهـ أـنـ يـتـفـمـدـهـ بـوـاسـعـ رـحـمـتـهـ.